﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾ [المؤمنون: 118]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لمّا بيّن اللّهُ ﷻ أنّ حساب هؤلاء عند ربّهم، وأنّهم لا يفلحون؛ أَمَر بالانضواء في صِنف المُفلحين، والدّعاءِ بدعائهم بالمَغفرة والرَّحمة[1].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

الدُّعاء بالمغفرة والرَّحمة

ختم اللّهُ سبحانه السّورةَ الكريمة بخِطاب نبيِّه الكريم ﷺ: ادعُ مناجيًا، وقُلْ: مولاي؛ تَجاوَزْ وابسُط رحمتَكَ، وأنتَ يا مولاي خيرُ مَن يَرحم طُرًّا[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

فائدةُ الواو في صدرِ الآيةِ:

عطفُ رجاءِ الإحسان على عدلِ الجزاء

تصدّرت جملة ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ﴾ بالواو العاطفة؛ إذ عطفت هذه الجملةَ على جملة: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، فلمّا جاء ذِكْر الحساب في الآية السّابقة عُطف عليه طلبُ الدّعاءِ بالمغفرة والرّحمة[3]؛ فهي عطفُ رجاءِ الإحسان على عدلِ الجزاءِ، والخَتمُ بالفضل والإحسانِ أنسبُ بمَطلَع الجمال؛ منَ الإخبار بفلاحِ أهلِ الإيمان.

علّةُ التّصديرِ بفعلِ القولِ:

لمقامِ الرّسول عند ربّه، يدعو لخَلْق اللهِ بالتّجاوز والرّحمة

مع واو العطف تصدّرت الآيةُ بالأمر بالقول: ﴿وَقُل﴾؛ وعلّة ذلك فسْحُ الرّجاءِ بالمغفرة والرّحمة بعد ذِكْر حساب كلِّ عَبْدٍ عند ربّه، وقد جُعِلَ الرّسول ﷺ الواسطةَ بين يدي ربّه بالدّعاء بالتّجاوز والرّحمة؛ وذلك لمقامه عند ربّه؛ فيكون أدعى لإجابة مولاه.

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 593.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 67.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 137.

سِرّ تكرار طلب المغفرة والرّحمة:

الاستمرارُ في الدّعاء ليتحقّق الفوزُ والفلاح

تكرّر طلبُ المغفرة والرّحمة مَرّتيْن في سياق هذه الآيات، ولعلّ السِّرَّ في تكرارها هو الاستمرار في دعاء الله بنفس دعاء عباد الله الذين وصفهم ﷻ فقال: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ في مقابل الكافرين الذين قال فيهم ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ فمَن أراد الفلاحَ والفوزَ؛ فعليه بدعاء عباد الله المؤمنين.

غرضُ حذف مُتعلّق الفعلين ﴿ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾:

تفويض الأمر إلى الله في تعيين مُتعلّق المغفرة والرّحمة؛ ليَشْمَلَ كلَّ الذّنوبِ، ولكلّ المؤمنين

حُذِف مُتعلِّق الفعلين ﴿ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ﴾؛ وذلك لتفويض الأمرِ إلى الله في تعيين ذلك[1]، فحُمِل على الشُّمول لكلِّ الذُّنوب، ولكلِّ عباد الله المؤمنين[2]، وصار المطلوب في الدّعاء هو فعل المغفرة والرّحمة دونَ نظرٍ إلى مُتعلِّق من متعلِّقاتها.

دلالة الواو وفائدة الجملة الحاليّة:

ثناءٌ واستعطافٌ واستجلابٌ؛ لمزيد العَفوِ والرَّأفة واللُّطف

استعمَلت الآية حرف الواو في قوله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، وهي واو الحاليّة[3]، ويَحْمِل هذا الحالُ ثناءً واستعطافًا في مقام التَّضرُّع والدّعاء[4]، فاغفر لنا وارحمنا، وأنتَ - حين تَرْحَم - خيرُ الرّاحمين؛ استجلابًا لمزيد العَفوِ والرَّأفة واللُّطف بعباد الله، وأي رحمة أعظمُ من رحمة الله، التي يرجوها العبد.

إيثارُ الخيريّة في ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾:

رحمتُه تعالى رحمةٌ لا سوءَ فيها، ولا منتهى لها

آثَرَتِ الآيةُ وصْفَ الخيريّة في ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾؛ ويرجع ذلك إلى أنّ لفظ ﴿خَيْرُ﴾ يأتي بمعنيَيْن؛ فيأتي بمعنى الأفضليّة، ويفْسَح المجالَ حينَها لمقارنة رحمتِه ﷻ برحمة غيره؛ فهي رحمةٌ عميمة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 137.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5129.
(3) الدّعّاس، إعراب القرآن: 2/ 342.
(4) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 14/ 273.

وتامّة ودائمة، ورحمةُ غيرِه قاصرةٌ وناقصةٌ ومؤقّتةٌ، وشتّان بين تلك الرّحمات ورحمةِ ربّك[1]، وأمّا لفظُ ﴿خَيْرُ﴾ فيأتي بالمعنى المقابِل للشَّرِّ، وهنا يتمُّ استحضارُ صورٍ ظاهرُها الرّحمة وباطنها الشَّرُّ، وتلك هي تصرّفات أعداءِ الحَقّ، فمَن وافقَهم أنعموا عليه، وإن خالفهم نَكَّلوا به واستهزؤوا، وإن هو إلّا متاعٌ؛ فصارت الخيريّة تدلّ على رحمةٍ لا سوء فيها، ورحمة لا حدود لها[2].

بلاغةُ أسلوبِ الدّعاء:

دعـاءٌ يَـرْمُـز إلى التّطمين وإزالـةِ الـغَـمّ وإلى مُتارَكَة المُتكبّرين

يحمل أسلوبُ الدّعاء في قوله: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وجوهًا من البلاغة؛ فهو أمرٌ للمصطفى ﷺ بالدّعاء، ويحمل هذا الأمرُ معنى المُتاركة للمُستهزئين، فإذا كان حسابُهم عند ربّهم فلا تأسَ عليهم؛ إن عليكَ إلّا البلاغ، والتجئ إلى ربّك؛ فمنه الرّحْمَة والمغفرة[3]، وهو أيضًا تطمينٌ للنَّبيِّ ﷺ بأنّ هؤلاء لا يفلحون، والفائزُ هو مَن التزم هذا الحَقّ، فاطْمَئِنّ وأبعدْ عنك الغَمّ من مضايقات هؤلاء المُتكبّرين وقبيحِ فِعالِهم؛ فلا يكن في قلبك غَمٌّ من هؤلاء أو جفاءً[4]، وإذا جاء أمرُكَ من رَبِّك بالدّعاء فتحقّق بالإجابة[5].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المَغفرة والغُفران:

المـغـفـرة أثـرُ الغَفْرِ، والغُفران تـرسـيـخُ فِـعْـلِ الغَفْر وتكثيرُه

يجتمع لفظا المَغفرة والغُفران في أصل الغَفْر، وهو السَّتْرُ والتَّجاوُز، وبالنّظر في سياق استعمال اللّفظيْن، يظهر أنّ لفظ (الغفران) قد ورد مفعولًا مُطلقًا في موضعٍ واحدٍ من القرآن ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البقرة:

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 159.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5129.
(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 10/ 638.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5129.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 18/ 137.

285]، وغرضُه تأكيد فعلِ المغفرة وترسيخه وتكثيره؛ أي: اغفِر غفرانًا أكيدًا[1]، أمّا المغفرة فجاءت في مواضع عديدةٍ، بصيغة المَصدرِ الميميّ الذي يُشير إلى الحَدَثِ نفسِه[2]، فالغَفْرُ: سترُ الذَّنب؛ وأثرُه المَغفرةُ، والتّأكيدُ على الفعل (الغفران).

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/ 134.
(2) السّامرّائيّ، معاني الأبنية، ص: 31.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»